اعتقادهم بالربوبية دون الألوهية. فمن اعتقد ربوبية الله فهو ضمنا يعتقد ألوهيته!

ثمرة التوحيد حقيقته: أن ترى الأمور كلها من الله تعالى رؤية تقطع الالتفات عن الأسباب والوسائط، فلا ترى الخير والشر إلا منه تعالى

المقصود بحقيقته هو آثاره ولبيان انعكاسه على عقيدة الموحد وإيمانه، لا باعتباره من حيث جوهره وهو هو، بل ثمرته التي تقطع الالتفات للأسباب والوسائط، وهذا كما يقال مثلا: إنما العلم الخشية فليس هذا تعريف العلم بل بيان لثمرته وأثره الحقيقي.
فالتوحيد أثره أن ترى الأمور كلها خيرها وشرها من الله تعالى دون التفات للأسباب التي تباشر للوصول للمسببات والنتائج، وذلك أن هذه الأسباب مخلوقة ومسبباتها كذلك (نتائجها) بل وجعل من السنن الكونية أن هذه الأسباب تفضي إلى المسببات ولكن لا يعني هذا أن هذه الأسباب تؤثر بذاتها بل تؤثر بإذن الله وتقديره فلا يكون في ملكه ما لا يريد.
والالتفات المطلوب انتفاؤه هنا هو الالتفات القلبي، أما مباشرة الأسباب فهي واجبة، وأما من يتعلل بالتوحيد لترك مباشرة الأسباب فهو كما قال ابن القيم طعن في الحكمة، وهذا نوع مغالاة سواء في المباشرة لدرجة الاعتقاد تأثيرها بذاتها أو في تركها لدرجة نفي العلاقة بين الأسباب والمسببات.
ومن الدلائل على أن كل شيء بتقدير الله وتدبيره أن الأسباب قد تفضي إلى أمر ونقيضه فالطريق الذي ضرب لموسى عليه السلام في البحر كان سببا لنجاة موسى بإذن الله عز وجل وهو ذاته كان سببا لهلاك فرعون وجنده بإذن الله عز وجل. (هذا الهلاك هو خير لموسى وقومه)

فإن قدَّر الله خيراً فهو فضلٌ من عنده يُوجِبُ الشكرَ، وإلا كان شراً من حيث المقدور،
فلا يكون شراً مطلقاً من الله تعالى في قول النبي صلى الله عليه وسلم: "والشرُّ ليس إليك".
أي ليس إليك من حيث القصد والإرادة وإنما تقديرٌ لحكمةٍ يعلمها جلَّ جلاله) فالشر
وإن رأيناه شراً بذاته فمن حيث هو مُقدر ومن حيث مآله فلا يكون إلا خيراً.

وهذا المقام يُثمِرُ التوكُّلَ وتركَ شكايةِ الخلقِ، وتركَ لومِهم والرضا عن الله تعالى، والتسليمَ لحكمتِه.

إذا كان توحيدنا كما ذكرنا سابقاً تكون ثمرته توكلاً حقيقياً لا ينافي اتخاذ الأسباب
ومثاله ما ضربه النبي صلى الله عليه وسلم في حديث "لو توكلتم على الله حقَّ توكله..."
فإن فات أحدنا شيئاً فلا يشتغل بلوم الخلق، وإن ألمَّ به خطبٌ أو لحقته مصائبُ
فلا يشكو إلى الخلق، بل عليه بالصبر الجميل والرضا والتسليم لله عز وجل.
لكن إن كانت الشكاية لردِّ مظلمةٍ أو جلبِ منفعةٍ أو جواب لسؤال عن الحال كسؤال
النبي صلى الله عليه وسلم عند زيارته وتفقده للمرضى "كيف تجدك" فجوابه لا يعتبر
شكايةً للخلق، وهو من باب اتخاذ الأسباب في جلب المصالح إن تغلب عليه الرضا.
فالشكاية المذمومة هي التي تكون من قبيل السخط على الله عز وجل أو تضمر اعتقاداً
بتأثير الأسباب بذاتها وبجلب ما هو منافٍ للتوحيد.

وإذا عرفتَ ذلك فاعلم أنَّ الربوبيَّةَ منه تعالى لعباده، والتألُّه من عباده له سبحانه، كما أنَّ الرحمةَ هي الوصلةُ بينهم وبينه عزَّ وجلَّ.

لذلك عرفت الربوبية بتوحيد الله عز وجل بأفعاله هو، فالربوبية منه لعباده
فهو مالكهم ومدبِّر لأمرهم ورازق لهم...، والتأله من عباده له أي التعبُّد من عباده
فعرِّفت الألوهية بتوحيد الله بأفعالنا أي أن تكون عبادتنا إلا له سبحانه وتعالى

واعلم أن أنفس الأعمال وأجلّها قدرًا: توحيد الله تعالى

وهذا من وجهين: فالأول أن التوحيد أساس جميع الأعمال، فإن صحّ التوحيد صحّ ما يُبنى عليه أو يتفرّع منه، فقد خوطب النبي صلى الله عليه وسلم بخطاب تشديد: "ولئن أشركت ليحبطنّ عملك ولتكوننّ من الخاسرين" والله أعلم أن نبيه ما كان له أن يشرك بالله ولكن الخطاب لبيان علوّ شأن التوحيد.

والوجه الثاني: أن التوحيد عظيم الفضل كبير النفع، وقصة البطاقة تدل على ذلك

غير أن التوحيد له قشران:

القشر الأول: أن تقول بلسانك: "لا إله إلا الله" ويسمّى هذا القول توحيدًا، وهو مناقض للتثليث الذي تعتقده النصارى.

وهذا التوحيد يصدر أيضًا من المنافق الذي يخالف سرُّه جهرَه.

القشر الثاني: أن لا يكون في القلب مخالفةٌ ولا إنكارٌ لمفهوم هذا القول، بل يشتمل القلب على اعتقاد ذلك، والتصديق به، وهذا هو توحيد عامة الناس.

ولباب التوحيد: أن يرى الأمور كلها من الله تعالى، ثم يقطع الالتفات عن الوسائط، وأن يعبده سبحانه عبادةً يُفرده بها ولا يعبد غيره.

قيل أن المؤلف عبّر عن الظاهر بالقشر لبيانه وعدم خفائه وباللب عمّا خفي في القلب لكن لوحظ الإنكار على التعبير بالقشر من الشرّاح المعاصرين لعادة التعبير به عن الاستخفاف، وإن كان الإمام الغزالي استعمله في كتابه "إحياء علوم الدين" لكن في سياق ذمّه لأهل الكلام في طريقة تعاملهم مع مسائل التوحيد وتناولهم له، فقد ركزوا على القشران وتركوا اللباب، فالقشر الأول دأب المنافقين والثاني هو توحيد

عامة الناس.

فالقدر الأول توحيد لساني مناقض للتثليث النصارى وإن أضافوا الترميز لها بالإشارة لكن يمكن أن يصدر من المنافق ولو كانت عاصمة للدم ابتداء.

واللباب هو حقيقة التوحيد التي ذكرت سابقا فتظهر ثمرته بعبادة خالصة لوجه الله وقطع الالتفات على الوسائط والأسباب

ويخرج عن هذا التوحيد اتباع الهوى، فكل من اتبع هواه، فقد اتخذ هواه معبوده. قال تعالى: "أفرأيت من اتخذ إلهه هواه"

وإذا تأملت عرفت أن عابد الصنم لم يعبده، إنما عبد هواه. وهو ميل نفسه إلى دين آبائه فيتبع ذلك الميل. وميل النفس إلى المألوفات أحد المعاني التي يعبر عنها بالهوى.